

العنف الرمزي وأشكال ممارساته على الأبنية الاجتماعية

إقليم قورارة - تيميمون - نموذجاً

Symbolic violence and the forms of its practices on social structures The province of Gourara - Timimoun - as a model

ط د. بيده عبد الرزاق

جامعة وهران 2 (الجزائر)، baida.abderrazak@univ-oran2.dz

تاريخ الإرسال: 17-12-2022 تاريخ القبول: 15-06-2023 تاريخ النشر: 16-06-2023

ملخص:

نهدف من خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى تعريف العنف الرمزي لغة واصطلاحاً ، وأنواعه والأشكال العملية المتبعة لممارسته على الأبنية الاجتماعية، ونحدد الجهات التي يسلط عليها ، ونبين علاقة التواصل بين الغالب والمغلوب. وايضاً ندرس فعاليات العنف الرمزي والفرق بينه وبين أنواع العنف الأخرى . وتنوع الأساليب التي يمارس من خلالها ، والمؤسسات التي يمارس فيها.

الكلمات المفتاحية: العنف الرمزي؛ البناء الاجتماعي؛ البناء الاجتماعي؛ الخماسة؛ الخراصة.

Abstract :

Through our study of this subject, we aim to define symbolic violence, linguistically and idiomatically, its types and the practical forms used to practice it on social structures, and to identify the parties that it sheds on, and to show the relationship of communication between the victor and the vanquished. We also study the activities of symbolic violence and the difference between it and other types of violence. And the diversity of methods through which it is practiced, and the institutions in which it is practiced.

Keywords: symbolic violence; social construction; Gourara district; the five; The extract.

المؤلف المرسل: ط د. بيده عبد الرزاق، الإيميل: baida.abderrazak@univ-oran2.dz

1- مقدمة: لقد شكل مفهوم العنف الرمزي مدخلاً منهجياً لكثير من الباحثين مكنهم من الكشف

عن الممارسات الخفية للفعل الثقافي التربوي من جهة وعن تلك الممارسات القهرية التي يمارسها

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

الغالب على المغلوب في إطار التواصل التعليمي، أو العمل، أو التربية، أو التلقين التعسفي الذي يخضع الآخر رغماً عنه، وطوعية يلعب الغالب دور المستعلي، ويتمصص المغلوب دور المحكوم عليه بتقبل ما يعطى له، فالعنف الرمزي بهذه الصورة، يرتدي حلة سلطة معنوية خفية، تفرض نظاماً من الأفكار، والدلالات، والمعاني، والعلامات، بوصفها مشروعة. وهذه السلطة تعمل على إخفاء علاقات القوة الكامنة في أصل هذه السلطة وفي تكوينات العنف الرمزي نفسه.

وبما أن العنف الرمزي له سلطة قادرة على فرض نظم من الدلالات والمعاني بوصفها مشروعة عبر عملية إخفاء علاقات النفوذ والقوة المتواجدة في أصل هذه القوة ذاتها. فهو يفرض سلطة نفسه على نسق من الأفراد، ومن جهة ثانية يأخذ طابعاً رمزياً اعتبارياً، وهذه الاعتبارية ناتجة عن دور العنف في تعزيز اللامساواة اجتماعياً، وتأسيس الفوارق الفئوية والطبقية بين ابنية المجتمع الواحد، وإضفاء طابع الشرعية على معطياتها من أجل تمجيد فئة على أخرى لما لها من هيمنة إقتصادية، مصادر الجاه، رأس مال ثقافي. وهذا كله يدفعنا لطرح الاشكالية التالية كيف يتم تفعيل أساليب العنف الرمزي ضد الأفراد والجماعات؟ هذا ما سوف نجيب عنه من خلال هذا المقال.

2- مفهوم العنف الرمزي:

يرى كل من "بيربوديو وباسرون" أن العنف الرمزي يشكل منطلقاً ذهنياً للكشف عن الفعاليات الذهنية التي يمارسها المجتمع في تشكيل عقول الأفراد، عبر سلطة معنوية متمثلة في: القدرة دينية، اجتماعية، قداسية، مكانة اعتبارية ورمزية.

2-1- التعريف اللغوي للعنف:

ط.د. بيده عبدالرزاق

لقد عرف العنف عند "ابن منظور" على أنه (الخرق بالأمر وقلة الرفقة به فهو ضد الرفق. نقول عنف به وعليه عنفا وعنافة، وعنفه تعنيفا، إذا لم يكن رفيقا في أمره. كما نقول اعتنف الأمر: أخذه بعنف. وأعنف الشيء: أخذه بشدة، والتعنيف: التوبيخ، والتقريع، واللوم). (منظور، 1968، صفحة 903)

وعرفه "جمال صليبا" هو (كل فعل مضاد للرفق ومرادف للشدّة والقسوة، والعنيف هو المتصف بالعنف الظاهر أو المستتر. فكل فعل شديد يخالف طبيعة الأشياء ويكون مفروضا على الفرد من الخارج، فهو بمعنى ما فعل عنيف) (صليبا، 1982، صفحة 112).

أما "جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفاني"، عرفانه على أنه (العداية والغضب الشديد عن طريق القوة الجسمية الموجهة نحو الأشخاص أو الممتلكات). (كفاني، 1996، صفحة 4135)

وأما في المعجم الوسيط العنف عنف به وعليه (عنفا) وعنافة: أخذه بشدة وقوة ولامه وعيره، فهو عنيف. وأعنفه عنف به وعليه عنفه: اعتنف الأمر أي أخذه بعنف وأتاه ولم يكن له علم به، الشيء كرهه، يقال: اعتنق الطعام وفلان المجلس، تحول عنه. (مصطفى، 1989، صفحة 631)

أما "أحمد زكي بدوي"، يعرفه على أنه (استخدام الضغط أي القوة استخداما غير مشروعاً وغير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة الأفراد) (بدوي، 2009، صفحة 266). يرى "فيليب بيرنو"، أن (العنف يمثل ضعفا جسديا أو معنويا، ذو طابع فردي أو جماعي ينزله الإنسان بالإنسان بالقدر الذي يتحمله على أنه مساس بممارسة حق أقر بأنه حق أساسي أو بقصور للنمو الإنساني الممكن في فترة معينة) (بيرنو، 1985، صفحة 149).

2-2- التعريف السوسيولوجي للعنف:

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

يعتبر العنف صفة لما يتصف به الفرد، معنى هذا أن كل فعل يقوم به الفرد، يمكن أن يؤدي إلى العنف. فالفعل العنيف هو فعل تستمد خصائصه من الكلمات المأخوذة من مقدمة العنف المتضمنة في الصرامة ، التهديد ، الضجيج ، العصيان ، الشجار، الضوضاء، الشدة، القوة، التهور، الغضب. (شريف، صفحة 192)

لقد تعددت تعريف العنف حسب وجهات نظر أصحابها وتخصصاتهم العلمية، ففي علم النفس جاءت تعريف العنف على الشكل التالي: فقد عرفه "وديع شكور" بالقول (أن العنف لا يورث، فهو إذن سلوك مكتسب يتعلمه المرء أو يتعايشه خلال حياته، وخاصة في مرحلة الطفولة، فإن مورس عليه العنف سابقاً في المراحل الأولى لحياته، فهو سيمارسه لاحقاً على غيره من الناس، وحتى مع عناصر الطبيعة حيواناً أو نباتاً) (شكور، 1997، صفحة 63). فالعنف بدوره يبقى قاصراً وناقص كونه أهمل الضغوط النفسية التي يتعرض لها الضحية. أما "حسنين توفيق إبراهيم"، يقول أن (العنف ظاهرة مركبة لها جوانب سياسية، إقتصادية، إجتماعية، نفسية، وهي ظاهرة

عامة تعرفها كل المجتمعات بدرجات متفاوتة). (إبراهيم، 1970، صفحة 40)

2-3- التعريف القانوني للعنف.

تعني كلمة عنف من الناحية القانونية، الاستعمال غير القانوني لوسائل القصر المادي أو المادياني أو المعنوي بغية تحقيق غايات وأهداف شخصية أو جماعية" (التبر، 1997، صفحة 16)

2-4- تعريف العنف الرمزي:

ط د . بيده عبدالرزاق

يشكل هذا المفهوم أحد المفاهيم الأساسية لنظرية "بيربورديو **Pierre Bordieu**" وجون كلود باسرون **Jean Claud Passeron**. فقد ظهر المفهوم أول مرة سنة 1970 في كتابهما (إعادة الإنتاج Reproduction). يعرف كلا من "بير بورديو وجون كلود باسرون" العنف الرمزي، على أنه: (كل سلطة عنف رمزي تطال سلطة فرض دلالات على أنها شرعية وقادرة على توارث علاقات القوة التي هي منها مقام الأس لقوتها، إنما تزيد لعلاقات القوة تلك قوتها المحصنة بها أي قوتها الرمزية). (بيربورديو، 1994، صفحة 102)

2-5- التعريف الاصطلاحي للعنف:

يعرف العنف الثقافي الرمزي على انه قدرة الغالبين أو الجماعة الغالبة في مجتمع ما على حجب كل تعسف ناتج عن اى منتج من منتجاتهم الثقافية والرمزية ، وإظهارها على انها شرعية على المغلوبين في المجتمع لتقبل شرعية هذا التعسف، والترويج لشرعيته بوسائل وضوابط تنتجها تلك القوة وتحدد مكنزمات التفاعل ضمنها (بيربورديو، 1994، صفحة 5).

2-6- التعريف الإجرائي للعنف الرمزي

العنف الرمزي كل سلوك أو تفاعل يطل من خلال الفرد استغناء الآخر، بقول أو فعل أو عمل ضد الرأفة والرفق واللين، هو في نظرنا عنفا رمزيا ييسط المجتمع لضبطه مجموعة القواعد السلوكية الخفية يعمل على التماهي به وبأسلوبه التعسفي القهري الذي يظهر في صورة تفاعلية، لكنه يخفى داخله عناصر القهر والحرمان والدونية للآخر.

3- أشكال العنف: تتعدد أنواع العنف بتعدد أشكاله:

3-1- العنف الرمزي:

العنف الرمزي وإشكال ممارساته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

يعبر عن استخدام الرمزي للدلالات والمعاني للسيطرة على الآخرين، لفرض الهيمنة الذكورية، القداسية، الاعتبارية، فيأخذ العنف أشكالاً وصورة رمزية خفية ملتبسة تمكن ممارستها من الوصول لتحقيق المآرب المسطرة، وبدون استعمال القوة المعلنة.

يدخل هذا النوع في الحياة السياسية، الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية، اليومية للأفراد عبر التفاعلات. فيتم استخدام وسائل متعددة للسيطرة على عقول الأفراد وكسبهم بواسطة الكلمة الطيبة، البركة، الموقف النبيل، الإبتسامة، الهدايا، الإشارة بالعين والحاجب، الدلالات، المديح، الإطراء بين الناس، كل ذلك بغرض كسب قلوب الناس*.

ومن خصائص العنف الرمزي، أنه عنف هاديء، غير مرئي وغير محسوس لضحاياه، تشارك ضحاياه جلادها في التصورات نفسها عن العالم والمقولات التصنيفية نفسها، يعتبر معا بني الهيمنة مسلمات، فالثوابت يفرزها العنف الرمزي بفرض قواعد تبدو لنا طبيعية في شكل نظم عابرة للأزمنة.

3-2- العنف المادي:

كل سلوك يلحق الضرر الجسدي بالآخرين نتيجة للضرب، أو تخريب الممتلكات، والتدمير.

3-2- إعادة الإنتاج الثقافي:

* يقول الشاعر "أبو الفتوح البستي" في قصيدته النووية:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم *** فطالما استعبد الإنسان إحسان

ط د . بيده عبدالرزاق

يعتبر كل من "بيربورديو وكلود باسرون" اول من استعمل مصطلح إعادة الإنتاج الثقافي في اشارة للعملية التي يتم بواسطتها الحفاظ على ثقافة الفئة أو الطبقة المسيطرة. ومن خلال ذلك يتم الحفاظ على قوتها السياسية واستمرارها من جيل لجيل بواسطة النظام التعليمي وعن طريق ظاهرة التعمية، لكنهما يؤديان نفس النتيجة رغم كونهما مفهومين متعارضين بواسطتهما يتم توجيه الأفراد واستغنائهم.

ومن جهة أخرى يمكن النظر لمصطلح إعادة الإنتاج، كيف يسلط الضوء على مشكلة، كيفية استمرار المجتمعات في البقاء وتظل مستقرة نسبيا على امتداد فترات طويلة من الزمن. لأن هذا البقاء المستمر يتطلب ما هو أكثر من مجرد إعادة الإنتاج المادي، أي إستخلاص الأفراد الذين يحلون محل من ماتوا أو رحلوا عن المجتمع. فيتعين نقل ثقافة المجتمع من جيل لجيل آخر. وهكذا ترتبط إعادة الإنتاج الثقافي ارتباطا وثيقا بالدور الذي تقوم به عملية التنشئة الإجتماعية، في تحقيق الإستقرار المذكور، العملية التي من خلالها يتشرب الأفراد ثقافة مجتمعاتهم.

يصيغ المجتمع قواعد السلوك والتقبل للتدليل على معاني مختلفة للعنف الرمزي من دلالات، ونسق، وإشارات رمزية، يتم تفعيلها بالأمثال الشعبية، النكت، الغناء، العادات والتقاليد، الأعراف في السياسة، والحكمة، والتفاعلات اليومية بين الأفراد، وكيف يتم التواصل بين الأفراد متسترا بغرض وضع الآخرين تحت الإكراه والخضوع على نحو رمزي. يتم توظيف آلياته الإستغائية الدهائية بواسطة دلالات رمزية للإخضاع إيديولوجيا، وعقائديا، ونفسيا، وفي الحياة السياسية.

4- أساليب ممارسات العنف الرمزي:

تظهر الكثير من الاساليب التي يمارس من خلالها العنف الرمزي ومن هذه الأساليب نجد

الدهاء:

العنف الرمزي وإشكال ممارساته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

يعد العصر الأموي أكثر العصور الذي عرفت فيه الدولة (الإيديولوجية الرمزية)، بغرض احتواء الآخرين. يقول "معاوية بن أبي سفيان" (عجبت لمن يطلب أمراً بالغبلة وهو يقدر عليه بالحجة، ومن يطلبه بحق وهو يقدر عليه بالرفق؟ إلا أن الماء على رقبته يقطع الحجر على شدته). (وطفة، 2009، صفحة 67) يظهر هنا قمة الذكاء في ممارسة السياسة الرمزية، التي توصل للهيمنة والسطوة، والسيطرة، والقهر المشرعن دون إكراه أو عنف واضح المعالم.

*الكرم:

يمثل صورة من صور استخدام العنف الرمزي في الهيمنة على الآخرين والسيطرة عليهم.

إن كثيراً من مظاهر الرفق، الصمت، الإحسان، الابتسامة في وجه الآخرين، سعة الصدر، الكلمة الطيبة، التظاهر باحترام وتقدير الآخرين. كلها مظاهر خداعة يمارس من خلالها العنف الرمزي القادر على تحقيق مالا يقدر على تحقيقه السيف وما لا يمكن للقوة المادية تفعيله بالناس للهيمنة عليهم دون ترك أي بصمة مادية.

* رقة الكلام:

تمثل هذه الأدوات عنفا رمزياً في شكل رأسمال رمزي يقوم على اللطف، البشاشة، الرقة. إن صورة الكلمة التصويرية المصاغة في شكل نكتة أو مثل شعبي (يبرا فم الجرح و ما يبرا فم العار).

5- أشكال التباين التمايز:

لقد خضع المجتمع الواحي القصورى القورارى من نهاية القرن السابع عشر ميلادى إلى بداية القرن العشرين، لتقسيمات تراتبية قامت على أساس التصنيف والفرز بين السكان فظهرت فئة الأشراف،

ط.د. بيده عبدالرزاق

المرابطين، الأحرار، الحراطين، والعيبد. يقتضى البحث في هذه التراتبية مراعاة البنى المادية للمجتمع، إن مجموع هذه العناصر هو ما صنف في إطار بنيات متماسكة ومنسجمة، مثل: البنية الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، السياسية، تخضع هذه البنيات لمنطق التحول والضرورة والتغير من أجل تحقيق النمو والبناء (الهروي، 2013، صفحة 18). كل هذه البنيات تكون ما يسمى بالبنية الاجتماعية.

إن تفعيل هذه الصور أدى استغلال الافرد من طرف القوة المسيطرة على الحياة العامة بالمجتمع في إطار علاقات الإستغلال المنظمة له والمتمثلة في الانظمة التالية (الخراصة، الخماسة، المثالثة). بواسطة هذه النظم، تمت السيطرة على الفئات المقهورة وتم التمكين من توجيهها نحو عدوانية السلطة المسيطرة. والخط من قيمتها لتستغل أبشع استغلال، ما جعل العدوان أو العنف الرمزي المسلط عليها في شكل المشروع والمبرر.. (حجازي، 2001، صفحة 239)

يتم كل ذلك من خلال شرعنة استبرار (Légitimation) وتبرير العدوان من خلال تأثيمه، بوضع كل اللوم عليه وتحميله مسؤولية المآزق الذاتية عندما يصبح هو المذنب، وهو مصدر الخطر والتهديد ومصدر العلة في حالة من تبخيس إنسانيته والخط من قيمته وقدراته بتحويله لعقبة وجدانية في وجه السعادة الذاتية والوصول لتحقيق الذات التي تصور كضحية يقع عليها كل العزم من الخارج، ومع رد فعل البراءة يفتح الطريق أمام إطلاق العنان للعدوانية الذاتية في فعل تهجمي تدميري ضد الآخر (حجازي، 2001، صفحة 246) يعني هذا أن ممارسة العنف الرمزي مرهونة بوجود رأس مال رمزي، يتوج بسلطة رمزية (دينية، ثقافية، مالية، إجتماعية، نفسية) تعبر عن مشروعيتها، بمعنى قبول ما يصدر عن هذه السلطة مشروع وحقيقي من قبل الذين تمارس عليهم السلطة الرمزية (Bourdieu, 1992, p. 134.141) وحتى نفصل بين العنف الفيزيائي المادي والعنف الرمزي، نرى أن ثمة حاجة ماسة للتمييز بينهما. فإذا كان العنف الفيزيائي المادي يلحق الضرر بالموضوع أي يخلف بصمة واضحة، فإن العنف الرمزي يلحق الضرر بالموضوع سيكولوجيا في الشعور الذاتي الكرامة الإنسانية الطمأنينة الاعتبار والتوازن الذاتي للفرد (Bourdieu, 1992, p. 123.141). من خلال هذه المقارنة بين العنفين، يتبين لنا

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

بأن العنف الرمزي قد يكون أكثر فعالية وإيلا ما في تحقيق غاياته، لأن مشروعيتها هي العامل الأهم في تحقيق الهيمنة والخضوع. ومعنى أدق أن العنف الرمزي له القدرة والفعالية أكثر من العنف المادي.

6- مظاهر وإشكال العنف الرمزي:

يشير "بير بورديو" أن العنف الرمزي (عنف شفاف هاديء يخرق عتبة البصر فلا تقع عليه العين ولا يُرى حتى من قبل ضحاياه). (bordieu, 1998, p. 7.8)

وفي موضوع آخر يشير على أن البنى الاجتماعية ونشاطات الإنتاج وإعادة الإنتاج القائمة على تقسيم جنسي لعمل الإنتاج وإعادة الإنتاج البيولوجي والإجتماعي، تمنح للرجل النصيب الآخر في الترسيمات الملائمة، هذه الترسيمات نتاج استدماج علاقات السلطة تلك تعبر عن نفسها في التعارضات المؤسسة للنظام الرمزي. (بيربورديو، 1994، صفحة 60)

يحاول المهيمنون أن يطبقوا على المهيمن عليهم علاقات الهيمنة في شكل مقولات تحمل وجهة نظر المهيمنين، فتجعلها تبعا لذلك تبدو وكأنها طبيعية، وهذا ما يؤدي لنوع من التبخيس الذاتي (Auto dépréciation)، بل التحقير الذاتي الممنهج. فالعنف الرمزي يتمأسس بواسطة الانتساب الذي لا يستطيع المهيمن عليه إلا منحه للمهيمن، يحصل التواصل بينهما بواسطة أدوات المعرفة المشتركة بينهما (كحلة الخماس والخمس، والخراس، والمخرص). (بيربورديو، 1994، صفحة 62)

ينزع العنف الرمزي لتوليد حالة من الإذعان والخضوع عند الآخرين، يخضعهم لنظام من الأفكار والمعتقدات الاجتماعية التي غالبا التي يصدرها قوة مهيمنة متمركزة في موقع القوة والهيمنة بواسطة إيديولوجية السيادة. لأن غرض هذا العنف تصور معتقدات محددة يتم ترسيخها بعقول وأذهان الذين يتعرضون لهذا النوع من العنف، فقد يدافعون عن تظاهراته، فهو ينطلق من نظرية (إنتاج وإعادة إنتاج

ط. د. بيده عبدالرزاق

الخطاب الثقافي واستخلاص مجموعة القيم). وأخيرا، بناء السلوكات التوافقية، ومن ثم إنتاج هيئة من المؤهلين (الرعيون) الذين يمتازون بقدرة عالية على ممارسة سرد التقييم والتطبيع الثقافي. ما يمكنهم من السيطرة ثقافيا وإيديولوجيا على الآخرين، يندرجون ضمن الدلائل المرجحون المزينون للتفاعلات والسلوكات المنتجة بغية إعطاء المنظرين الحقيقيين شرعية إيديولوجية القوة الناعمة.

ومن مظاهر العنف الرمزي التماهي بالغير، حيث يقوم الإنسان المقهور في عملية التماهي بإحكام المتسلط واجتياف عدوانيته وتوجيهها لذاته في شكل مشاعر ذنب ودونية وتبخيس للقيمة الذاتية، إنه ينخرط في عملية الخط من قيمته وقيمة الجماعة التي ينتمي إليها، وبقدر ما يذهب في هذا الاتجاه، فإنه يعلي من شأن المتسلط ويبالغ في اعتباره وتثمين كل ما يمد إليه بصلة (حجازي، 2001، صفحة 127). لأن المغلوب نفسيا ماديا، ماليا، مولع دائما وأبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه وخلقه، وسائر أحواله وعوائده، كما يقول "ابن خلدون"، (والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه. إما لنظره بالكمال بما قرع عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه.

إن أغلب الغالب ليس بعصبية ولا قوة بأس، إنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط بذلك عن الغالب، وهذا راجع للأول، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذ أشكالها بل وفي سائر أحواله، مثل الأبناء مع آبائهم والتلاميذ مع معلمهم كيف يتشبهون بهم دائما وما ذلك إلا لاعتقادهم بالكمال فيهم. (خلدون، 2001، صفحة 184)

7- مظاهر التباين والتمايز و تكريسها في المؤسسات.

لقد اعتمد الإنسان منذ القدم على البحث والتقصي عن القوة الغيبية في الطبيعة وربط بحثه في مجموعة من الرموز تحمل عنفا خاصا بها، يتمثل في قدرتها وقوتها على التأثير، ما زاد من حيرة الإنسان كون

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

هذه الرموز شفافة، وساحرة، وغامضة، لها سلطة جمالية، يأخذ العنف الثقافي والعقائدي والإيديولوجي صورة العنف الرمزي ليفرض نفسه في مجالات القيم وحقول الرموز، والدلالات، وكذلك المعاني. (وظفة، 2009، صفحة 27.72)

ونظراً لما يمتلك الرمز في ذاته من طاقة وقدرة وقوة، فقد وظفه الإنسان منذ القدم لاستجلاب الخير ودفع الشر عنه واستنطاق عالم الأرواح والقوى الكونية العليا، كما حاول عبر الرموز ذاتها مخاطبتها، وأن يؤثر في سلوكها ليتجنب أخطارها وكوارثها. فرصدها في رموز وجسدها في علامات حسية، ثم وظفها للسيطرة على حركة هذه القوى وتوجيهها، فاخترع لها الطوطم، والتعويذات، والطقوس الإحتفائية، والحركات والإشارات السحرية (وظفة، 2009، صفحة 73.74).

وفي هذا، يتضح أن الإنسان استخدم الرموز في صراعه مع القوى الغيبية الكونية الأكثر قوة من القوى المادية المحسوسة والظاهرة. يعني هذا أن الإنسان وجد في الرموز قوة هائلة، فوظفها في صنع الإقتدار والمصائر لكشف الخفايا. فقد وظف رموزاً اعتقد قدرتها على طرد الأرواح والقوى الشريرة.

ويمكن تلمس قوة الرمز في التوظيف الإنساني له في اتجاهين أساسيين، يتمثل الأول في تجريد الكون المادي إلى رموز ودلالات ومعاني وكلمات، والاتجاه الثاني في التجسيد الغامض للمعنوي والروح والميتافيزيقية، في علامات وإشارات مادية. ومن هنا تأخذ هذه العلوم أهميتها الكبيرة، حيث تأخذ طابعا رمزياً واضح المعالم، كما نراه في الكيمياء والفيزياء والرياضيات، وما زال الرمز يأخذ دوره الكبير كسلاح طبقي توظفه الطبقات الدينية والدينية في تكثيف السلطة والهيمنة والتمايز في المجتمعات الإنسانية.

(Levy Strauss, 1961, p. 32)

ط د . بيده عبدالرزاق

لقد ظهرت أكثر استخدامات الرمز كقوة اجتماعية في حقل الكتابة، فعندما نتأمل في طبيعة التوظيفات الأولى للكتابة، سنجد بأنها قد وظفت في مجال تأكيد السلطة وتعزيز حضورها في المجتمع، لقد استخدمت الكتابة (وهي رمز من رموز أو أنساق رمزية) في وضع الكشوف المالية والقوانين وصوغ الأوامر والتعليمات، كما وظفت من أجل الضبط والمراقبة والمحافظة على رأسمال وممتلكات وخيرات مادية في مختلف العصور والمراحل التاريخية، كما أنها كانت أفضل أداة في السيطرة السياسية وفي تعزيز الأقليات أكثرية البشر.

وتأسيسا على ما سبق أن الرمز يفيض بقوته الذاتية، حيث فرض نفسه كقوة هائلة في المخيال الاجتماعي، فعمل على بناء المعاني وتوليدها، وامتلك لاحقا القوة العلمية، فجعل المعرفة الإنسانية ممكنة والعلم متاحا. وبذلك أصبح الرمز يمثل صورة رأسمال رمزي يمكنه أن يتجلى في شكل سلطة رمزية قادرة على الفعل والتأثير في الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية والمادية. تمثل السلطة القوة المشروعة أو العنف المشروع اجتماعيا، وهذا يعني (بأن الأمن والشرطة وأدوات الضبط الاجتماعي في الدولة تمثل أدوات مشروعة تستخدمها الدولة في فرض سلطتها ونظامها). ومن هنا فإن أي ممارسة للعنف تبدو مشروعة إذ كان هدفها المحافظة على سلامة المجتمع وأمنه، ووفقا لهذا التصور، فإن الرمز يمثل سلطة مشروعة وعنفا مشروعا لأنه يعبر عن تصور اجتماعي عام، أي يحظى بإجماع أفراد المجتمع (المزارات، الأولياء، المقدسات).

من جهته ينظر "بير بورديو" للسلطة الرمزية من حيث قدرتها على تكوين المعطى (العبارات اللفظية) ومن حيث هي قوة على (الإبانة، والإقناع، وإقرار الرؤية عن العالم وتحويله).

وهي في النهاية، قوة تمكن من بلوغ ما يعادل تأثير القوة الطبيعية والاقتصادية، لما تمتلك من قدرة التعبئة (وظفة، 2009، صفحة 75). غير أن "بير بورديو" يؤكد على أهمية السلطة الرمزية لتأخذ طابعا فاعلا في حياة الناس. إن ما يعطي لكلمات السر قوتها ويجعلها قادرة على حفظ النظام أو خرقه هو الإيمان بمشروعية الكلمات ومن ينطق بها (بورديو، 2007، صفحة 60). فالمنظومات الرمزية باعتبارها

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

أدوات للمعرفة، تفرض نفسها كسلطة مثل مؤسسات (المسجد، المحضرة، العائلة، الفقارة، القصر). وهي بالتالي، تشكل سلطة لبناء الواقع وتغييره وهي أدوات يرأى "إميل دوركهايم" للتضامن الإنساني والفعل الاجتماعي في الآن معاً.

وبما أن السلطة تأخذ صورتها الرمزية في مدى قدرتها على إدراك نفسها كسلطة، ومن ثم فإن فعالية هذه السلطة لا تتم في نسق من الفعاليات الفيزيائية بل في نسق المعرفة والمعتقد، والسلطة مهما تكن صورتها أو شرعيتها، تغري من يمتلكها، يمارس التعسف والعنف وتحمله على العلية، وهي إغراء يتملك من يمارسها. والعنف هو بالضرورة حصاد هذه الغواية وذلك الإغراء، إن الحديث عن سلطة الرمز يقتضي الحديث عن الرأسمال الرمزي (Le capital symbolique) ورأس المال الرمزي ليس شيئاً آخر غير الرأسمال الاقتصادي أو الثقافي وذلك عندما يتم تحديده وتعيينه وعندما تقع حدود الرأسمال الثقافي والاقتصادي في دائرة الوعي، فإن علاقات القوة الرمزية تعمل على إنتاج القوة التي تشكل الفضاء الاجتماعي، ولأن مفهوم رأس المال الرمزي يمثل تلك المبادئ والصور التصنيفية، وفي المخططات المعرفية التي تكون على الأقل نتاجاً لعملية تجسيد للبنى الموضوعية للحقل المعني فالرأسمال الرمزي لا يوجد إلا في دائرة الوعي والتقدير.

وليضمن تطبيع التوافقات الداخلية مع مشاهدة الواقع الخارجي، جسد الفرد تلك القوة الغيبية في رموز بنى عليها الخير والشر، تمثلت في كومة الأحجار، الأشجار، الطيور، الحيوانات، جسدت القوة الغيبية التي عجز الإنسان عن إدراكها.

لأن وضعية التخلف تشكل ضغطاً على الفرد لا يمكنه تجاهله، نظراً للعلاقة الجدلية القائمة بين الفرد والمجتمع، فيصعب عليه رفض العادات والتقاليد المكتسبة عن طريق وسائط التطبيع المجتمعية التي تنظم

ط.د. بيده عبدالرزاق

سلوك الأفراد في بيئته الاجتماعية، وما يؤطرها من مفاهيم وأفكار خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن التعليم يظل سطحيًا ولا يغير من البنية الأساسية لذهنية التي تكونت في الطفولة، والتي تشكل الخرافة إحدى مقوماتها الرئيسية (خلدون، 2001).

فما هي المؤسسات أو الكيانات التي تتعرض للتبخيص والعنف الرمزي من قبل السلطة المسيطرة أو صاحبة الإنتاج الإيديولوجي. من بين الأفراد المعرضين للعنف الرمزي، الخماسين، والخراسين، والمثالثين.

الخماس: الذي يعمل طيلة السنة فيما لا يملك وعند الاقتطاف يكون نصيبه من الإنتاج خمس المنتج.*.

الخراص: الذي يحرص كمية الماء الجارية في البستان المبني على الظن، فقد يخسر إذا ما انكسرت فيه الخراصة، فينزل من فئة لأخرى أقل درجة، لهذا يوهم المالك الخراص بأنه هو صاحب الملك ليضمن تماهيه نحو المحرص أو مثلثته (Idéalisation). فيوهم الخراص أن البركة سوف تحل عليه وتعمه من كل الجوانب، فيرفعه لمرتبة أعلى وينزعه عن الشوائب والنقائص في حالة تضخيم قيمته وأهميته وجاذبيته بالنسبة للشخص الذي وضعه في ذلك المقام. (الدين، 1979، صفحة 74)

8- المدرسة والعنف الرمزي:

يرى "بير بورديو وباسرون"، (أن المدرسة ذات وظيفة صراعية يتجلى ذلك فيما تعكسه من تطاحن إجتماعي وتفاوت طبقي، تعمل على إنتاج (الورثة)) - فالطبيب يورث مهنته والأستاذ والإداري كذلك لابنه - وما أنه من صنع طبقة متميزة تمسك بمقاليده الثقافية بأدواتها الأساسية (المهارات العلمية، المعرفة)، فهو يحافظ على بقاء النفوذ الثقافي لتلك الطبقة أو الفئة (الإمام، شيخ الزاوية، معلم القرآن،

* جاءت فكرة الخمس من المذهب الشيعي، الذي يعتبره فرض يقدم لأهل البيت من مال الغير، وقد رفضته المذاهب الأخرى.

العنف الرمزي وإشكال ممارسته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

مقدم الزاوية، حفدة المقدس) يورثون النفوذ الثقافي لتلك الطبقة، يظهر ذلك في عملية الإصفاء التي تقصى فئات إجتماعية عن طريق التعمية، والعمل لصالح فئة الوارثين.

ومن جهته، يرى "لوي التوسير L. Althiss" بخصوص التقنيات والمعارف، أنه يجري في المدرسة تعلم قواعد تحكم الروابط الإجتماعية بموجب التقسيم الإجتماعي التقني للعمل. فنظام التعليم يؤمن بناعة إستنساخ روابط الإنتاج عن طريق وجود مستويات من التأهيل الدراسي تتجاوب مع تقسيم العمل، وعن طريق ممارسة الإخضاع للإيديولوجيا السائدة آنذاك. فالمسالك الموجودة بالمدرسة هي انعكاس لتقسيم المجتمع لفئات إجتماعية بغية الإبقاء على الروابط الفتوية⁽¹⁾.

أما "بير بورديو"، يرى (أن المدرسة تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع على صورة التباين الطبقي الكامنة فيه). وبعبارة أخرى تعمل المؤسسات التربوية (التقليدية/الحديثة) بأولويات ذكية خفية رمزية لهذا تعمل على توليد التقسيم الطبقي الفتوي، والتفاوت الإجتماعي في الحياة اليومية للأفراد. فالمدرسة (أفريش/أوالحديثة) كل تعييناتها نتاج التقسيم الطبقي الفتوي في المجتمع، وهي في نفس الوقت أداة المجتمع في إعادة إنتاج المجتمع نفسه على نحو طبقي فتوي. فالمدرسة بوظائفها وفعاليتها، وفقاً لنظرية "بير بورديو وباسرون" تأخذ مكانتها في دائرة الرهان الطبقي الفتوي بالحياة الإجتماعية، فتعمل على إنتاج التفاوت الطبقي، والتباين الإجتماعي، والثقافي. وعلى هذا النحو يحدد النظام لها هدفين، هما:

- إنتاج أناس تبين لأداء الأدوار التسويقية تمايها في خدمة النظام.
- استخلاص فئات إجتماعية قادرة على الوفاء والتماهي بمتطلبات النظام.

(1) مارسيل بوسنيك: مرجع سابق، ص: 21، 24.

ط.د. بيده عبدالرزاق

يستخلص "بير بورديو" خلاصة أن (كل فعل بيداغوجي إنما هو موضوع عنف رمزي على اعتبار أنه فرض بواسطة سلطة اعتبارية لاعتباط ثقافي، عندما يدخل الأطفال (الورثة) للمدرسة فإنهم يمتلكون رأس مال ثقافي جدير بالاهتمام. والمدرسة بقوانينها ونظمها تنمي فوائد وفوائض رؤوس الأموال المودعة فيها - بينما زاد أبناء الطبقات المهمشة يتميز بضعف وهشاشة، وهامشية. لهذا تبقى القوانين الرأسمالية للثقافة عاجزة عن رعايتهم وتنمية قدراتهم، ما يعني ازدياد أبناء الأغنياء غنا فكريا وثقافيا وأبناء المهمشين يزدادون فقرا. (باسرون، 2011، صفحة 428)

8-1- الأسرة وتكريس مظاهر التباين والتمييز:

للأسرة قيم رمزية تسير عليها وتتفاعل وتتشاءم بها، تستحسنها أو تستهجنها خاصة لدى المرأة التي تحظى عندها بعض المظاهر بالتقديس والاحترام. فقد يكون الطوطم حيوانا، أو طائر (السرندي، برارج، لعقاب) بمجتمع قورارة وقد يكون شجرة (شجرة السدرة التي يكون بجوارها ضريح ولى صالح، تتفاعل النساء برمزية تعلق قطعا من ألبستها جلبا (للزواج بالنسبة للعوانس، وأطلب الولد للعواقر...).

8-2- تكريس مظاهر التباين والتمييز على المرأة:

تقع المرأة تحت طائلة العنف الرمزي الذي يحاصرها من كل الجوانب، والغريب أن المرأة تشارك في التعسف المقام ضدها من قبل المجتمع بواسطة الهيمنة الذكورية. يرى "بير بورديو" (أن مبدأ الدونية والاستبعاد للمرأة الذي يصدق عليه ويضخمه النسق الأسطوري الطقوسي لدرجة العمل منه مبدأ لتقسيم كل الكون ليس شيئا إلا الالتمائل (Dissymetrie) الجوهري الذي هو لا تماثل الذات والموضوع والعون والوسيلة والذي يتأسس بين الرجل والمرأة على أرضية المبادلات الرمزية وعلى أرضية علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج لرأس مال الرمزي. حيث الإجراء المركزي هو السوق الزوجية، والذي هو في الأساس النظام الاجتماعي كله، فلا تستطيع المرأة الظهور فيه إلا كالأشياء أو بالأحرى كرموز، حيث أن المعنى قد تشكل

العنف الرمزي وإشكال ممارساته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

خارجياً، حيث وظيفتها المساهمة في تأييد أو زيادة رأس المال الرمزي الممسوك من الرجال، تلك هي حقيقة المكانة الممنوحة للنساء التي تنكشف بالتضاد (Acontrario). وفي خضم هذا الصراع، يرى "بير برديو" (تدخل مختلف الطبقات والفئات التي تتفرع عنها في صراع رمزي للعمل على فرض التصور عن العالم الاجتماعي الذي يكون أكثر ملائمة لمصالحها، في حين مجال اتخاذ المرافق الإيديولوجية يقوم بإعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية (صراع البيئة/والمخيال الجمعي) وإعطائه شكلاً مغايراً. إذ تشكل الطبقة السائدة مكان الصراع (بناء فضاءات الاستدراج والإستفعال التواصل بين الأفراد) من أجل فرض مراتب مبادئ التراتب الاجتماعي. فالفئات السائدة التي تركز سلطتها على رأس مالها الاقتصادي ترمي إلى فرض مشروعية سيادتها إما عن طريق إنتاجها الرمزي أو بفضل أولئك المدافعين عن إيديولوجية المحافظة والبقاء. (بورديو، 2007، صفحة 51).

8 - خاتمة:

يتبين مما تم دراسته ان وبرغم ما لحق من تحولات في تراكيب البنيات الاجتماعية والثقافية وتغير في مكوناتها احتفظ المجتمع القوراري بالعادات والتقاليد المكرسة واحتفظ بها المخيال الاجتماعي، فالقيم لازالت مترسخة في ذهنية الفرد القوراري سواء بالمدن أو بالقرى، حيث يحافظ المجتمع على مكوناته في إنتاج وإعادة إنتاج هذه التفاعلات المجتمعية. (الهروي، الأسرة المرأة والقيم، 2013، صفحة 28)

وفي إطار التقاليد، فإن سلطة المجتمع هي التي تحدد وجهة ولاء الفرد وموضوعه، فهي التي تعمل على تقوية ولاء الشخص والتبعية للذين يترى عليهما في إطار العائلة. إن نظام الولاء هذا وما يصاحبه من تلبية الاحتياجات يسهل على الفرد القناعة بواقعه. وفي سياق الولاء القائم على العجز والخضوع، فالمجتمع خاضع لإرادة أصحاب النفوذ والجاه. حيث يتم تكريس مظاهر العنف الرمزي عن طريق

ط.د. بيده عبدالرزاق

الاحتقار، والدونية، والأبعاد، واللامبالاة فالأسرة هي من يغرس عناصر الانفصال والانعزال داخل ضمائر الأطفال لأن الوالدين عندما يتفاعلون مع أطفالهم يتفاعلون معهم وفق ما اكتسبواهم من مجتمعهم.

قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى. (1989). المعجم الوسيط. تركيا: دار العودة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع.
- أحمد زكي بدوي. (2009). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان.
- الهادي المهروي. (2013). الأسرة، المرأة، والقيم: تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.
- الهادي المهروي. (2013). الأسرة المرأة والقيم. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.
- بير بورديو. (2007). الرمز والسلطة (ط3). (ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- بير بورديو وكلود باسرون. (2011). إعادة الانتاج. مركز دراسات الوحدة العربية.
- بيربورديو. (1994). العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع التربوي. (ترجمة: نظيم جاهل) بيروت: المركز الثقافي العربي.
- جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفاني. (1996). معجم علم النفس والطب النفسي (ج8). القاهرة: دار النهضة العربية.
- جليل وديع شكور. (1997). العنف والمدرسة. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي (ج2). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- حسنين توفيق إبراهيم. (1970). ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (الإصدار ط2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الرحمان بن خلدون. (2001). المقدمة الجزء الأول من تاريخ "ابن خلدون" ديوان المبتدأ والخبر، الفصل الثالث والعشرون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي أسعد وطفة. (2009). من الرمز والعنف إلى العنف الرمزي، قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية. بحوث ودراسات كلية التربية: جامعة الكويت.

العنف الرمزي وإشكال ممارساته على الأبنية الاجتماعية إقليم قورارة - تيمون - نموذجاً

فاتن محمد شريف. (بلا تاريخ). دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، أنثروبولوجيا الأسرة والقرباة وخاصة. مصر: مطبعة الانتصار لطباعة الأوفست.

فيليب بيرنو. (1985). المجتمع والعنف، (ط2). (ترجمة: الأب زحلاوي، المترجمون) دمشق: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

محمد بن مكرم ابن منظور. (1968). لسان العرب (المجلد 2). بيروت: دار صادر.

محمد عباس نور الدين. (1979). التمويه في المجتمع العربي السلطوي.

مصطفى عمر التبر. (1997). العنف العائلي. المملكة العربية السعودية، الرياض: مركز الدراسات والبحوث.

bordieu, p. (1998). L'adomintion masculine. paris.

Bourdieu, P. (1992). Réponse pour une anthropologie reflexible seuil. Paris.

Levy Strauss, I. G. (1961). Entretiens avec Levy Strauss. Union Générale (éd. 33ème éditions). Paris.